الرسالة

(عبرانيين ١١: ٢٤–٤٠)

يا إخوةُ بالإيمانِ موسى لمَّا كَبُرَ أبى أن يُدعى ابناً لابنةِ فِرعَون* مختاراً الشَّقاءَ مع شعبِ اللهِ على التّمتُّع الوقتيِّ بالخطيئة* ومُعتبراً عارَ المسيحِ غنًى أعظمَ من كُنوزِ مِصر. لأنَّه نظرَ إلى الثواب* وماذا أقولُ أيضاً. إنَّهُ يَضيقُ بي الوقتُ إن أخبرتُ عن جِدعونَ وباراقَ وشمشون ويفتاحَ وداودَ وصموئيلَ والأنبياءِ* الذينَ بالإيمانِ قَهَروا الممالكَ وعملوا البرَّ ونالوا المواعِدَ وسدُّوا أفواهَ الأسود* وأطفأوا حِدَّةَ النار ونَجَوا من حَدِّ السَّيفِ وتقَوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشِدَّاءَ في الحربِ وكسروا معسكراتِ الأجانب* وأخذت نساءٌ أمواتهنَّ بالقيامةِ وعُذِّبَ آخرونَ بتوتيرِ الأعضاءِ والضربِ

أحد الأرثوذكسيّة

يُطلَق على الأحد الأوّل من الصوم اسم «أحد الأرثوذكسيّة»، وفيه يصير تزييحُ الأيقونات، إحتفالًا بذكرى انتصار كنيستنا المقدّسة في حربها على محطّمي الأيقونات. تُقام، في نهاية الزيّاح، صلاة نعلن فيها إيماننا الأرثوذكسيّ (المستقيم الرأي)، ونذكر كلّ القدّيسين الذين جاهدوا في سبيل هذا الإيمان، طالبين أن يكون ذكرهم مؤبّدًا. أيضًا، نذكر جميع الهراطقة الذين شوّهوا هذا الإيمان بمعتقدات غريبة عن تعليم الكتاب المقدّس، طالبين إلى الربّ أن يكونوا مفروزين. تُختم الصلاة بإعلان موجز عن هذا الإيمان: «إنّنا، كما عيَّنَ الأنبياءُ، كما علّمَ الرسل، كما تسلّمَتِ الكنيسةُ، كما اعتقدَ المعلّمون، كما اتَّفقتْ آراءُ المسكونةِ معًا، كما أشرَقتِ النعمةُ، كما انطرَدَ الكذبُ، كما استعلنتِ الحكمةُ، كما جاد المسيحُ بالجوائز، هكذا نعتقدُ، هكذا نتكلّمُ، هكذا نكرزُ بالمسيحِ إلهنا الحقيقيّ ونكرّمُ قدّيسيه بالأقوالِ والتأليفاتِ والمعاني والذبائحِ والهياكلِ والأيقونات. أمّا المسيحُ فنسجدُ له كسيّدٍ وإلهٍ ونعبدُه، وأمّا القدّيسون فنكرّمهم لأجل السيّد العموميّ كخدّامٍ له أخصّاء ونقدّمُ لهم السجود بحسبِ النسبة. هذا إيمانُ الرسل، هذا إيمانُ الآباء، هذا إيمان المستقيمي الرأي، هذا الإيمان قد وطّدَ المسكونة...».

العدد ١٠/٢٠٢٠

الأحد ٨ آذار

الأحد الأول من الصوم

(أحد الأرثوذكسية)

تذكار البار ثاوفيلكتوس المعترف

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الخامس

هكذا تعلنُ الكنيسة المقدّسة، مع بدء مسيرة الصوم المبارك، أنّ كلّ جهادنا الروحيّ، من إقامة الصلوات المكثّفة إلى الصوم عن المآكل وعمل الرحمة، لا يمكن أن يستقيم من دون إيمان قويم. لهذا، وُضِع لهذه الغاية فصلٌ من إنجيل يوحنّا (١: ٤٣–٥١)، تُعلن لنا الكنيسة من خلاله، على لسان نثنائيل، أنّ يسوع هو «ابن الله» و«ملك إسرائيل» (١: ٤٩)، أي هو «المسيح ابن الله»، لأنّ ملك إسرائيل هو الذي يمسحه الله بالدّهن بواسطة النبيّ (١صم ١٠: ١).

يشكّل الفصل الأوّل من إنجيل يوحنّا مقدّمةً لهذا الإنجيل ككلّ. هذا يظهر من خلال ما يذكره الإنجيليّ

في الخاتمة: «وآيات أُخر كثيرة صنع يسوع قدّام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب. أمّا هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أنّ يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه» (يو٢٠: ٣٠-٣١). تتخلّل الإنجيل أحداثٌ كثيرة يُعلن فيها هذا الإيمان: فالسامريّون يعلنون بعد لقائهم بالمسيح «أنّ هذا بالحقيقة المسيح مخلّص العالم» (٤: ٤٢)؛ كما أنّ بطرس يُعلن، بعد تكثير الخبزات الخمس والسمكتين، وبعدما تحدّث الربّ عن الخبز السماويّ: «ونحن قد آمنّا وعرفنا أن أنت المسيح ابن الله الحيّ» (٦: ٦٩). الأعمى منذ مولده، بعدما شفاه الربّ يسوع، ثمّ أخرجه اليهود من المجمع عندما اعتبر أنّ الرب لا يمكن إلّا أن يكون من الله، يجده الربّ ويسأله: «أتؤمن بابن الله؟ أجاب ذاك وقال: من هو يا سيّد لأؤمن به، فقال له يسوع: قد رأيته والذي يتكلّم معك هو هو، فقال أؤمن يا سيّد، وسجد له» (٩: ٣٥). قبل إقامة لعازر، حدّث الربّ يسوع مرثا عن القيامة والحياة التي يمنحها الربّ لكلّ مؤمنٍ به، وسألها إذا كانت تؤمن بهذا، فأجابته: «نعم يا سيّد، أنا قد آمنتُ أنّك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم» (١١: ٢٧). أيضًا، بيلاطس قَبِل بأنّ الربّ يسوع هو ملكٌ، فكتب عبارةً وضعَها على الصليب: «يسوع الناصريّ ملك اليهود» (١٩: ١٩).

لم يكن الإعتراف بأنّ يسوع هو «المسيح ابن الله» بسيطًا أيّام الحكم الرومانيّ. فالعبارتان تُطلقان على الملك، الذي يُمسح من الله وفق التقليد اليهوديّ، كما أنّه ابن الآلهة وفق المفهوم الوثنيّ. إذًا، يوضَع هذا الاعتراف في خانة «الخيانة العظمى»، التي عقابها الموت، لأنّها تمرُّد على سلطة قيصر روما. من هنا، كان ردَّ فعل اليهود على سؤال بيلاطس لهم: «أأصلب ملككم؟» سريعًا: «ليس لنا ملك غير قيصر» (١٩: ١٥)، وإلّا لكانوا وقعوا تحت عقوبة الصلب. اليهود أنفسهم أرادوا قتل الربّ يسوع «لأنّه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضًا إنّ الله أبوه، معادلًا نفسه بالله» (٥: ١٨).

كان على اليهود أن يقبلوا الربّ على أنّه المسيح المنتظر الذي سيملك عليهم. فقد أظهر لهم أنّه هو المُنتَظَر، وهو مَن تنبأ عنه موسى، نبيّهم الأعظم، إلّا أنّهم رفضوه وطالبوا بقتله. هذا ما قدّم له يوحنّا الإنجيليّ في بدء إنجيله: «إلى خاصّته جاء وخاصّتُه لم تقبله» (١: ١١). لذلك، نسمع الربّ يسوع يقول عن نثنائيل إنّه «إسرائيليّ حقًّا (حقيقيّ) لا غشّ فيه» (١: ٤٧)، لأنّه، رغم المقولات الشائعة بأنّه لا يمكن أن يخرج شيء صالح من الناصرة، أتى إليه وقَبِل دعوة فيليبس له: «تعالَ وانظر» (١: ٤٦)، واعترف به أنّه المسيح المنتظر (١: ٤٩).

أن نكون أرثوذكسيّين، كما تُظهر لنا كنيستنا المقدّسة اليوم، يعني أن نقبل الربّ يسوع ملكًا على حياتنا، تاليًا أن يكون اعتمادُنا عليه وحده. وإذا كان أغسطس قيصر، أيّام الإمبراطوريّة الرومانيّة، جلب السلام للإمبراطوريّة Pax Romana، فإنّ الربّ يسوع هو قيصرنا، وهو الذي يجلب السلام الحقيقيّ لكلّ الخليقة، ويمنحنا الحياة الحقيقيّة النابعة من أبيه السماويّ: «هكذا ولم يقبلوا بالنجاةِ ليحَصلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرون ذاقوا الهُزءَ والجلدَ والقيودَ أيضاً والسِّجن* ورُجِموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في جُلودِ غنمٍ ومَعِزٍ وهم مُعوَزون مُضايقون مجهودون* (ولم يكنِ العالم مستحقًّا لهم). وكانوا تائهين في البراري والجبال والمغاور وكهوف الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهوداً لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِد* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئاً أفضَلَ أن لا يكمُلوا بدوننا.

الإنجيل

(يو ١: ٤٤-٥١)

في ذلك الزمان أراد يسوعُ الخروجَ إلى الجليل فوجد فيلِبُّسَ فقال لهُ اتبعني* وكان فيلِبُّسُ من بيتَ صيدا من مدينة أندراوسَ وبطرس* فوجد فيلِبُّسُ نَثَنَائيلَ فقال لهُ إنَّ الذي كَتَبَ عنه موسى في الناموس والأنبياءِ قد وجدناهُ وهو يسوعُ ابنُ

يوسف الذي من الناصرة* فقال لهُ نَثَنَائيلُ أمِنَ الناصرةِ يمكنُ أن يكونَ شيءٌ صالح* فقال لهُ فيلِبُّسُ تعالَ وانظرْ* فرأى يسوعُ نَثَنائيلَ مقبلاً إليهِ فقال عنهُ هوذا إسرائيليٌّ حقًّا لا غِشَّ فيهِ* فقال لهُ نَثَنائيلُ مِنْ أينَ تعرفني. أجاب يسوعُ وقال لهُ قبل أن يدعُوَك فيلِبُّسُ وأنت تحتَ التينةِ رأيتُك* أجابَ نَثَنَائيلُ وقال لهُ يا معلّمُ أنت ابنُ اللهِ أنتَ مَلِكُ إسرائيل* أجابَ يسوعُ وقال لهُ لأنّي قلتُ لك إنّي رأيتُكَ تحت التينة آمنتَ. إنَّك ستُعاين أعظمَ من هذا* وقال لهُ الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم مِنَ الآن ترونَ السماءَ مفتوحةً، وملائكةَ اللهِ يصعدون وينزِلون على ابن البشر.

تأمل

إنّ إظهار كلمة الله لذاته يكون في كلّ بُعد: في الخَلق فوق، وفي التجسّد أسفل، وفي الجحيم في اللّجة، وفي العالم بأسره في اتجاه أحبّ الله العالم حتّى بذل ابنه الوحيد كي لا يهلك كلّ من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديّة» (يو٣: ١٦).

الصوم عند القدّيس سمعان اللاّهوتيّ

ندخل اليوم الأسبوع الثاني من الصوم الأربعينيّ المقدَّس الموصِل إلى القيامة البهيّة. لقد سمعنا في ترانيم الأسبوع الماضي: «لنبدأنّ أوان الصيام بحبور مكرّسين ذواتنا للجهادات الروحيّة، ولننقِّ النفس ونطهِّر الجسد صائمين عن الأهواء كصومنا عن الأطعمة، متنعّمين بفضائل الروح، التي إذا ثابرنا عليها بشوق، نستحقّ جميعنا مشاهدة آلام المسيح الإله الكلّيّة الوقار والفصح المقدّس مبتهجين ابتهاجًا روحيًّا».

تُكثِّف الكنيسة، في هذا الزمن المقدَّس، الصلوات والخدم الليتورجيَّة، إلى جانب الإمساك عن الأطعمة. إنّ الإمساك عن الطعام فقط ليس صومًا إن لم يقترن بالصلاة وأعمال الفضائل. يقول النبيّ إشعياء: «أمِثل هذا يكون صومٌ أختاره؟ يومًا يذلّل الإنسان فيه نفسه، يحني كالأسَلَةِ رأسه، ويفرش تحته مسحًا ورمادًا. هل تسمّي هذا صومًا ويومًا مقبولاً للربّ؟ أليس هذا صومًا أختاره: حلّ قيود الشرّ، فكّ عقد النِّير، وإطلاق المسحوقين أحرارًا، وقطع كلّ نير. أليس أن تكسُر للجائع خبزك، وأن تُدخل المساكين التائهين إلى بيتك؟ إذا رأيتَ عريانًا أن تكسوه، وألّا تتغاضى عن لحمك» (إش ٥٨: ٥ – ٧).

الصوم هو رحلة البحث عن الله في عالم تحيطه تحدّيات على عدَّة صُعُد. يعلّمنا الصوم كيف نبحث عن الله قبل القيامة العامّة، وكيف نجاهد الجهاد الحسن ونخوض ميدان الفضائل، لا بالانقطاع عن الطعام فقط، بل بواسطة كلّ أسلحة الإيمان الأُخرى كالصلاة والصدقة. الصوم عن الطعام لا يُعتبر مقبولًا إن لم يترافق مع صراع أقوى ضدّ الأهواء: «يا نفسُ إذا صمتِ عن الأغذية ولم تتنقّي من الآلام فباطلًا تفرحين بترك الأكل، لأنّ الصيام إن لم يصر علّةً لتقويمك، فإنّك تُمقَتين من الله ككاذبة وتضاهين الشياطين الأرديّاء الذين لا يأكلون بالكلّيّة. فلا تخطئي إذًا ولا تدنّسي الصيام، بل كوني غير متقلقلة نحو النهضات القبيحة كواقفةٍ مع المخلِّص المصلوب، لا بل مصلوبة مع الذي صُلِب من أجلك هاتفةً إليه: أذكرني يا ربّ متى أتيتَ في ملكوتك». يقول أبونا المثلث الرحمة البطريرك إغناطيوس الرابع: «جوهر صيامنا أن نجوع ليس إلى الطعام، لكن إلى الله. أن نشعر بأنّنا فقراء إليه. أن نؤمن بأنّ الحاجة إلى واحد، إلى هذا الإله الذي يغذّينا بنعمته، فنفهم أنّنا نلنا كلّ شيء. ليس الصوم سوى ترويض النفس والعقل على أنّ الله هو كلّ الحياة».

تعيِّد كنيستنا المقدَّسة في ١٢ آذار للقدّيس سمعان اللّاهوتيّ الحديث الذي عاش في القرن الحادي عشر (٩٤٩–١٠٢٢)، وأغنى الأرثوذكسيَّةَ بتعاليمه الروحيّة وحياته النسكيَّة الروحانيَّة. الصّوم بالنسبة إلى قدّيسنا «مثل الشمس، يزيل شيئًا

فشيئًا الضباب، وهكذا تضمحلّ غشاوة النفس».

دعونا نترك الكلام للقدّيس سمعان الذي يقول في إحدى عظاته حول الصوم: «...يقضي كلّ المؤمنين الأسبوع الأوّل، الذي انصرم اليوم، بنشاطٍ. بعد انقضائه، تحتفل كنيسة الربّ يوم السبت بعيد القدّيس الشهيد العظيم ثيوذورُس (التيروني)، وبالحريّ بالعمل الفائق العادة الذي صنعه الله لشعبه المؤمن على يد القدّيس بحسب التقليد. أيضًا، نحتفل يوم الأحد بذكرى الإيمان الأرثوذكسيّ (الأحد الأوّل من الصوم) وننشد دومًا التسابيح الشكريّة لله الكلّيّ الصلاح. لكنّ الشرّير الذي ينحسد من الصلاح ينسل إلى كلّ المؤمنين ويرمي عليهم قيود التواني والإهمال. إنّه يقنع المؤمن بأن يكسر قيوده ويلقي عنه نير الصيام (مز٢: ٣) ويعود إلى عاداته القديمة. لهذا أذكّركم اليوم وأناشد محبّتكم وأبوّتكم ألّا تذعنوا لذلك الذي يريدكم مرضى. لا تنقادوا مخطئين بعادة الشَّرَه ولا ترجعوا لعادة إشباع الشهوات الشرّيرة القديمة... فليحفظ كلٌ منّا في ذهنه منافع الصيام وعطايا الله التي نَعِمَ بها في هذه الأيّام القليلة، فيشتاق أكثر إلى الأيّام المقبلة، لأنّ هذا دواءٌ فعّال لأنفسنا، أوّلًا لتهدئة حمّى الجسد ونزواته، ثانيًا لتلطيف الإنفعال السيّء، إضافةً إلى إبعاد النّعاس وتحريك الحماسة واستعادة نقاوة الذهن وتحريره من أفكار الشرّ. هو يضبط اللّسان بلجام (يع ٣: ٣ – ٨) ويكبحه بخوف الله ويمنعه عن الكلام البطال (مت ١٢: ٣٦). بكلام آخر، هو يحرس العينين بشكل غير منظور ويثبّتهما على الأعالي بدل تركهما تجولان هنا وهناك. يجعل الصائمَ ينظر إلى نفسه ويعلّمه أن يفكّر في أخطائه وتقصيره. الصيام يشتّت الظلمة الروحيّة ويُبعد شرّ الخطيئة الكامن على الروح كما تكشح الشمس الظلمات تدريجيًّا. يؤهّلنا الصيام روحيًّا لرؤية ذلك الجوّ الروحيّ الذي يشعّ فيه المسيح الشمس دائمًا من دون أن يعرف شروقًا أو غروبًا. الصيام مع الصلوات يدخل إلى القلب فتطرى قساوته. الصيام والصلوات جعلت ينابيعَ الندامة تتفجّر حيث كانت فيما مضى أبخرةُ السُّكر. أتضرّع إليكم، أيّها الإخوة، فليكافح كلٌ منّا كي يحدث هذا فينا... إنّه يحتاج الوقتَ الكثير والعمل والألم بحسب رغبة كلّ إنسان وإرادته، وعلى مقدار إيمانه وازدرائه بالمنظورات والأفكار. لم يكن أبدًا ممكنًا تحقيق أيّ من هذه الفضائل أو غيرها بلا الصوم، لأنّه بداية كلّ نشاط روحيّ وأساسه. كلّ ما تبني على هذا الأساس لا ينهدم أو يدمَّر لأنّه مبنيّ على صخر صلب. أمّا إذا نزعتَ هذا الأساس واستبدلتَه ببطنٍ مليء وشهواتٍ غير لائقة، فسوفَ يُطمر كالرمل بالأفكار الشرّيرة وسوف تسقط كامل بنية الفضائل».

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

العَرض. لقد امتلأت كلّ الأمور من معرفة الله، ولهذا السبب لم يقرّب الذبيحة لأجل الكلّ فور مجيئه. فلو أنّه أسلم جسده للموت في الحال ثمّ أقامه ثانيةً، إذًا لكفّ عن أن يكون محطًّا لحواسّنا. بل على العكس من ذلك بقي في جسده، فأفسح المجال ليُشاهد وهو فيه، قائمًا بالأفعال ومقدّمًا الأدلّة التي تُظهر أنّه ليس إنسانًا فحسب بل وأنّه الإله الكلمة أيضًا. وعليه، فبالمسيح نقرّب ذواتنا، وبه نجرؤ نحن النجسين على الاقتراب. بيد أنّنا نقترب من خلال الإيمان، ونقرّب ذواتنا للآب، مع عَرفٍ زكيّ، فقط حين نكفّ عن العيش لأنفسنا وحسب، حين نمتلك في أنفسنا المسيحَ فقط رائحةً للروح طيّبة... وهذه الرائحة الطيّبة إنّما هي موت المسيح.

القديس كيرلس الإسكندري